

المحاضرة الثانية (حصة واحدة): مدخل إلى علم النفس النمو

1- مفهوم علم نفس النمو:

يعرف علم النفس النمو بأنه " هو العلم الذي يدرس سلوك الكائن الحي، و ما وراءه من عمليات عقلية، دوافعه و ديناميكياته و آثاره، دراسة علمية يمكن على أساسها فهم و ضبط السلوك و التنبؤ به و التخطيط له.

كما يعرف على أنه: " فرع من فروع علم النفس، و يهتم بدراسة مظاهر الكائن الحي و تطوره، و تفحص سلوكه و العمليات العقلية المؤدية إليه، و الكشف عن دوافع السلوك و نتائجه، و البحث عن العوامل المساهمة في النمو و التطور بشكل علمي يؤدي إلى فهم ذلك السلوك و ضبطه، و إمكانية التنبؤ به".
و يعرف " لاباربا " علم نفس النمو على أنه " مجال واسع من مجالات علم النفس " و ينقسم إلى فرعين:

أولاً: علم نفس النشوء و التطور، الذي يدرس نشوء العمليات النفسية لدى الكائنات الحية، سواءً في شكلها البسيط أو المعقد.

ثانياً: علم النفس تطور الكائن الحي و الذي يهتم بدراسة اتجاهات النمو و التطور لدى الكائنات عن طريق دراسة كائن واحد فقط.

2- موضوع علم النفس النمو:

يُعتبر علم النفس النمو من العلوم ذات الجوانب المتعددة، و تشمل دراسته التعامل مع المتغيرات السلوكية و النفسية للكائن الحي عن طريق دراسة مظاهر النمو الجسمية و العقلية و الاجتماعية و الانفعالية عبر مراحل النمو المختلفة، و تقوم دراسة سلوك الفرد في مراحل نموه المتتابعة على نتائج البحوث العلمية القائمة على الملاحظات و التجارب العلمية، و تتناول هذه البحوث ما يلي:

- دراسة سلوك الفرد و نموه الطبيعي في إطار العوامل الوراثية و العضوية التي تؤثر فيه.

- دراسة سلوك الفرد في إطار العوامل البيئية المختلفة التي تؤثر فيه سواءاً كانت هذه العوامل جغرافية أو إجتماعية.

- دراسة أثر سلوك نمو الأفراد في البيئة المحيطة بهم، و في الثقافة التي ينتمون إليها.

- دراسة أساليب التوافق الشخصي و الاجتماعي و الانفعالي و ما يؤثر في هذا التوافق.

و لقد ظل علم النفس النمو محل جدل بين المختصين فيه و غيرهم حول تشابهه أو اختلافه مع مواضيع علوم أخرى خاصة علم النفس الطفل.

* مجال علم نفس الطفل: يهتم بدراسة سلوك الطفل و العمليات النفسية المصاحبة له.

* مجال علم نفس النمو: يهتم بدراسة التغيرات السلوكية ذات العلاقة بتطور العمر لدى الإنسان، مثل دراسة تغير سلوك الأطفال خلال مراحل نموهم و تطورهم المختلفة.

3- مفهوم النمو:

هو " تلك التغيرات الإرتقائية البنائية التي تطرأ على الفرد في مختلف النواحي الجسمية، و العقلية، و الإنفعالية ، و الاجتماعية، و ذلك منذ لحظة تكوينه و حتى إنتهاء حياته".

4- أهمية دراسة علم النفس النمو:

يمكن تلخيص أهمية دراسة هذا العلم في عدة نقاط أهمها:

1- من الناحية النظرية:

- تزيد من معرفتنا للطبيعة الإنسانية و لعلاقة الإنسان بالبيئة التي يعيش فيها، و ذلك من خلال:

- التعرف على تأثير كل من العوامل الوراثية و البيئية على النمو، مما يؤدي إلى توفير العناصر

المساعدة لتلك العوامل على تأدية عملها في أحسن الظروف و تحقيق أفضل النتائج الإيجابية التي يمكن توقعها.

- تؤدي إلى تحديد معايير النمو في كافة مظاهره و خلال مراحلها المختلفة.

2- من الناحية التطبيقية:

- تزيد من القدرة على توجيه الأطفال و المراهقين و التحكم في العوامل و المؤثرات المختلفة التي تؤثر في النمو، و ذلك من خلال مثلاً: مساعدة الأفراد على فهم أنفسهم و ما ينتابهم من تغير يرتبط بمراحل النمو المختلفة، و تقبل المظاهر المصاحبة له، و التوافق مع عالم الواقع.

- يمكن قياس مظاهر النمو المختلفة بمقاييس علمية تساعدنا من الناحية النفسية و التربوية في التكفل بالأفراد، إذا ما اتضح شذوذ النمو في أي ناحية عن المعيار العادي.

3- بالنسبة لعلماء النفس:

- تساعد دراسة هذا العلم الأخصائيين النفسيين في جهودهم لمساعدة الأطفال و المراهقين و الراشدين... خاصة في مجال علم النفس العلاجي و التوجيه و الإرشاد النفسي و التربوي و المهني.

- كما تعين دراسة قوانين و مبادئ النمو و تحديد معاييرها في اكتشاف أي انحراف أو اضطراب أو شذوذ في سلوك الفرد، و تتيح معرفة أسباب هذا الانحراف و تحديد طريقة علاجه.

4- بالنسبة للمدرسين:

- تساعد في معرفة خصائص الأطفال و المراهقين و في معرفة العوامل التي تؤثر في نموهم و أساليب سلوكهم، و في طرق توافقتهم في الحياة، و في بناء المناهج و طرق التدريس و إعداد الوسائل المعينة في العملية التربوية.

- يؤدي فهم النمو العقلي و نمو الذكاء، و القدرات الخاصة و الإستعدادات و التفكير و التذكر و التخيل و القدرة على التحصيل في العملية التربوية (تطور الملكات العقلية)، حيث يحاول الوصول إلى أفضل الطرق التربوية و التعليمية التي تناسب مرحلة النمو و مستوى النضج الملائم.

- تقيد في إدراك المدرس للفروق الفردية بين تلاميذه، و أنهم يختلفون في قدراتهم و طاقاتهم العقلية و الجسمية و ميولهم... ، و بهذا يوجه المدرس انتباهه للأفراد و يراعي قدراتهم و لا يكتفي بالتربية الجماعية.

5- بالنسبة للأفراد:

- تفيد بالنسبة للأطفال و هم راشدو المستقبل. فبفضل فهم أولياء الأمور و القائمين على التربية و الرعاية النفسية و الإجتماعية و الطبية لعلم نفس النمو، أصبح التوجيه على أساس دليل علمي ممكناً مما يحقق الخير للأفراد من الطفولة إلى الشيخوخة.

- تساعد في أن يفهم كل فرد - بقدر مستوى نموه - طبيعة مرحلة النمو التي يعيشها و يعتبر أن عليه أن يحياها بأوسع و أصح و أكمل شكل ممكن، بإعتبارها غاية في حد ذاتها قبل أن تكون وسيلة لغيرها، أي أن الفرد لا ينبغي أن يضحي بطفولته من أجل رشده، بل يجب أن يحيا الطفولة على أحسن وجه ممكن حتى يبلغ أكمل رشد ممكن.

6- بالنسبة للأولياء:

- تساعد الأولياء في معرفة خصائص الأطفال و المراهقين، مما يعينهم و ينير لهم الطريق في عملية التنشئة و التطبيع الإجتماعي لأولادهم.

- تعين الأولياء على تفهم مراحل النمو و الإنتقال من مرحلة إلى أخرى من مراحل النمو، فلا يعتبرون المراهقين أطفالاً... و هكذا يعرفون أن لكل مرحلة من مراحل النمو خصائصها المميزة، حيث تنمو شخصية الفرد بمظاهرها المختلفة.

- تتيح معرفة الفروق الفردية الشاسعة في معدلات النمو، فلا يكلف الوالدان الطفل أكثر من وسعه و لا يحملانه ما لا طاقة له به، و يكافئانه على مقدار جهده الذي يبذله، و ليس على مقدار مواهبه الفطرية.

7- بالنسبة للمجتمع:

- يفيد في فهم الفرد و نموه النفسي و تطور مظاهر هذا النمو في المراحل المختلفة في تحديد أحسن الشروط الوراثية و البيئية الممكنة التي تؤدي إلى أحسن نمو ممكن، و حتى لا يخطئ في تفسيره تحقيقاً لخير الفرد و تقدم المجتمع.

- تعين على فهم المشكلات الاجتماعية وثيقة الصلة بتكوين و نمو شخصية الفرد و العوامل المحددة لها
مثل مشكلات الضعف العقلي و التأخر الدراسي و النجاح و الانحرافات الجنسية... و العمل على الوقاية
منها و علاج ما يظهر منها.

- تساعد على ضبط سلوك الفرد و تقويمه في الحاضر، بهدف تحقيق أفضل مستوى ممكن من التوافق
النفسي و التربوي و الاجتماعي و المهني بما يحقق صحته النفسية في الحاضر و المستقبل كإنسان صالح.
- تؤدي على التنبؤ الدقيق بقدر الإمكان كهدف أساسي يساعد في عملية التوجيه في المستقبل بالنسبة
لكل فرد حتى يحقق المجتمع أقصى فائدة من أبنائه.

5- أهداف علم النفس النمو:

ممكن القول أن لسيكولوجية النمو هدفين أساسيين: أولهما الوصف الكامل و الدقيق قدر
الإمكان للعمليات النفسية عند الناس في مختلف أعمارهم، و اكتشاف خصائص التغير الذي يطرأ على هذه
العمليات في كل عمر، و ثانيهما: تفسير التغيرات العمرية (الزمنية) في السلوك أي اكتشاف العوامل و القوى
و التغيرات التي تحدد هذه التغيرات، ثم أضيفت أهداف أخرى تتصل بالرعاية و التحكم و التنبؤ، أو
بإختصار التدخل في التغيرات السلوكية.